قصة شمشون Samson

جبار بنى اسرائيل

(١)

لابد أن تعثر فى كل عصر من العصور على قصة جبار قوى ، وليس هركيولز Hercules ، إلا نغمة من أمثلة البطولة التى تعلق بأذهان جميع الشعوب . وشمشون أحد هذه الأمثلة . ويظهر أن المقدرة على اختراع الأساطير لا تتجه إلى هذه الناحية إلا لتمنح الأنسان المثل الأعلى فى القوة الجسمانية التي نصبو إليها .

وحياة شمشون ـ كما رواها سفر القضاة ـ قصة بطولة تتمثل فى رجل هائل القوة ذى طبيعة خارقة . وهي قطعة كاملة من الحياة اليهودية التاريخية . حتى لقد حاول بعض الباحثين المعاصرين أن يوجدوا نسبا بينها وبين خرافة الشمس The Solar Myth التى تدور حول هركيولز Hercules وأعماله . ولكن قصة شمشون لا تدل على شىء من ذلك . على أن من يحاول إيجاد هذه الصلة يستدل على ذلك بأن لفظة شمشون تعنى الشمس الصغيرة وأن مدينة الدانيين ، بيت شمس Beth-Shemesh ، التى تعنى مدينة الشمس ، كانت بالقرب من ديار أبيه — ومهما يكن من شىء فالظاهر أن أسبابا واهية هى التي كونت من معنى القصة البسيطة فاجعة لبطل عبرى مشهور

(٢)

تمر السكة الحديد بين يافا والقدس فى وادخصيب يجد المسافر على المنحدرات الشمالية منه قرية صغيرة تسمى زورا Zorah وقد لصق بها هذا الاسم أيام كان يسكنها « منوح Manoah » والد شمشون قبل أن يحكم داود أورشليم بسنين عدة وكان اليهود إذ ذاك مضطهدين فى فلسطين والفلسطينيون وهم الشعب السائد فى الجزء الذى عاش فيه منوح وعشيرته الدانيون (The Tribe of Dan) يسومونهم سوء العذاب وهم صابرون وليس منهم من يثور فى وجه المتعسفين ! وبقى الفلسطينيون مسيطرين على اليهود أربعين سنة وبعدها تبدأ القصة .

تنشأ المنازعات العائلية بين الفلاح اليهودى (منوح) وبين زوجته فهما يأسفان جد الأسف لأنهما لم يرزقا بأولاد يقومون بفلاحة الأرض عند ما تدركهما الشيخوخة ولكن زوجة منوح تتلقى فى أحد الأيام نبأ من زائر يقول فيه « تحبلين » وتلدين ابنا ، والآن فاحذرى ولا تشربى خمراً ولا مسكراً ولا تأكلى شيئاً نجساً إنك تحبلين وتلدين ابناً ولا تعلو موسى رأسه لأن الصبى يكون نذيراً لله من البطن وهو يبدأ يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين » — فهى تعيد هذا الحديث على زوجها وتصف له الشخص الغريب فتقول « جاء إلى رجل الله ومنظره كمنظر ملاك الله مرهوب جداً ولم أسأله من أين هو ولا هو أخبرنى عن اسمه »

قد يجذب قارئ القصة ذلك السحر فى هذه البساطة فنحن نجد (منوح) — وقد سمع قصة زوجته يضرع إلى الله فى طلب الهداية « أسألك ياسيدى أن يأتى أيضاً الينا رجل الله الذى أرسلته فيعلمنا ماذا نعمل للصبى الذى يولد » وتجاب دعوته فينما تعمل زوجة منوح فى الحقول وإذا بالغريب — ملاك الله — يهبط عليها وهى تسرع فتحضر زوجها فيسأل الملاك « ماذا يكون حكم الصبى ومعاملته ؟ » فيتلقى الجواب « من كل ماقلت للمرأة فلتحتفظ » وتتكرر التعليمات السابقة . وتقع حادثة لطيفة تتجلى فيها أخلاق والد البطل وأمه إذ يستولى الرعب على (منوح) مما حدث فيقول « نموت موتا لأننا قد رأينا الله » وتقول زوجته فى سذاجة « لو أراد الرب أن يميتنا لما أخذ من يدنا محرقة وتقدمة ولما أرانا كل هذه »

يولد شمشون فأذا بتغيير فجائى يتناول شكل القصة وطبيعتها . وليس يعنينا سرد الحوادث الصوفية الغريبة ولكن تقتصر على ألعاب المصارعة العجيبة التى يأتيها الفلاح اليهودى الصغير شمشون وقد لاتتفق المخاطرات المدهشة التى يقدم عليها هذا الشاب والأقوال التى كانت بين والديه والزائرين السماويين فلابدع إذن أن يعتبر الباحثون المعاصرون قصة ميلاد شمشون الغريبة إضافة متأخرة .

وكان شمشون الصغير بشعره المرسل المنثور وجسمه القوى سيدا فى منزل والديه. والاعتقاد السائد عند نساك ذلك العصر أن الشعر الطويل يكسب الانسان قداسة خاصة فليس بعجيب أن يكون شمشون فخوراً بشعره الطويل الذى يوافقه جد الموافقة ويكسبه قوة التأثير ، ويذكر السير جيمس فريزر — « Sir games Frazer » فى كتابه

---

٥ كل العبارات المحاطة بهذه الأقواس منقولة حرفيا من سفر القضاة فى التوراة .

الغصن الذهبي — The Golden Bough أن الناس كانوا يعتقدون ان الشعر المرسل يمد صاحبه بقوة سحرية — وهذا ما اعتقده اليهود فى ذلك العهد .

يخبر شمشون والديه بأنه قد أحب امرأة من بنات الفلسطينيين فى «تمنة Timnath» فيعارضانه : ألم يجد من توافقه من بنى جنسه ؟ وهل يجوز له أن يختلط بالوثنيين ؟ ولكن شمشون يرد على ذلك لا أريدها لأنها حسنت فى عينى » — ولا يجد والداه العزاء إلا فى قولها إنه من الرب . حيلة مدبرة ليزرعا الكراهية فى قلب شمشون للفلسطينيين .

يهجر شمشون ووالداه مزرعتهم ويذهبون إلى تمنة Timnath — وهى مدينة فلسطينية جميلة ليسكنوا بين الكروم والبساتين ويسمع شمشون زئير أسد فى الطريق فيتقدم ويشق الحيوان شقين بقوة خارقة مبعثها الفتوة والشباب.

ويمر المنظر الأول مع الفتاة الفلسطينية على أتم ما يكون من النجاح ويعود شمشون أخيراً ليتخذها زوجته فيمر على جثة الأسد الذى قتله ويجد لفرط دهشته كثيراً من النحل فى جوفه فيأكل العسل الذى يجده فى الجثة !

تستمر حفلة الزواج سبعة أيام ويقوم ثلاثون شاباً من الفلسطينيين بإحضار العروس إلى شمشون والمحتمل — كما هو الحال الآن فى حفلات الزواج بالشام — أنهم قاموا بتفتيشه كل التفتيش عنه . وفى اليوم الأول والقوم فى سرورهم العظيم يضع شمشون لغزه للثلاثين شاباً الفلسطينيين مقدماً لهم ثلاثين قميصاً وثلاثين حلة إذا قاموا بحله :— « من الآكل خرج أكل ومن الجافى خرجت حلاوة » وتمر أيام ثلاثة دون أن يستطيع الشبان حل اللغز فهم يلجأون إلى العروس الصغير يهددونها بالحرق فى منزل والدها إذا هى لم تكشف سر زوجها . وهنا تبدأ أول مأساة فى حياة شمشون فقد كان مثل غيره من الأقوياء ضعيفاً أمام المرأة ودموعها وهو يستعمل الشدة أولا ويأبى أن يجيبها ولكنه بعد بضعة أيام لم ينقطع فيها البكاء لا يستطيع أن يصبر فيسر إليها بالحل .

جاء آخر يوم وكاد ميعاد الحل ينتهى إذ أقبل الثلاثون فلسطينيا على شمشون وقالوا « أى شىء أحلى من العسل وأى شىء أجفى من الأسد؟ » وهذا الجزء من القصة سؤال يحتاج إلى جواب

(٤)

يظهر الغضب فى عيني شمشون ولكنه يضبط نفسه ويقول « لو لم تحرثوا على عجلتى لما وجدتم أحجيتى » — ويذهب بعد ذلك إلى عسقلان (Ashkelon) البلدة الفلسطينية المجاورة فيقتل من أهلها ثلاثين رجلا ويأخذ أسلابهم ويعطي الحلل للثلاثين الذين أجابوا على سؤاله . ومن هذه الحادثة يبغض شمشون الفلسطينيين ويشتد بغضه عند ما يريد صهره ان يعطى زوجته إلى واحد من الثلاثين الذين حضروا الزواج فهو يبدأ الآن بتخريب أراضى الفلسطينيين بأن يطلق على محصولاتهم ثلثمائة ثعلب ذيولها مربوطة ببعضها والنار مشتعلة فيها ولكن عشيرة شمشون تحت سيطرة الفلسطينيين فهى تصده عن أعماله كلما طلب الفلسطينيون منها ذلك ويجد فى لهجتهم بعض الضراعة عندما يأتون إليه قائلين « أما علمت أن الفلسطينيين متسلطون علينا فماذا فعلت بنا ؟ » فيقول شمشون « كما فعلوا بى هكذا فعلت بهم . . . . . احلفوا لى أنكم أنتم لاتقعون على » ويتفقون على هذا ويسلمون شمشون فيحل وثاقه ويذبح عددا عظيما من الحراس بفك حمار — ألفاً كما تقول — رواية التوراة — وعند ما يعطش تتفجر له عين ماء من فك الحمار .

وفى حادثة أخرى يكون حب شمشون وبالا عليه ! امرأة فلسطينية تجذب عقله فيذهب اليها فى بلدة « غزة » ويعلم أعداؤه أن اليهودى الخطر قد نزل بينهم فيضعون الحراس على باب المدينة وينتظرون الفجر ويقررأى الفلسطينيين على الفتك به ليلا ولكن شمشون الماكر ينسل تحت جنح الظلام ويقلع باب المدينة العظيم من أصله ويحمله أربعين ميلا ويضعه على رأس جبل بالقرب من « حبرون » Hapron لكن الشقاء الذى ينتظر شمشون والذى هو سبب نكبته لم يكن إلا من ضعف طبيعى فى أخلاقه

(٦)

يقع شمشون فى شراك دليلة Delilah الجميلة الغادرة ويرشوها أقطاب الفلسطينيين بألف ومائة من القطع الفضية لتخبرهم عن السر فى قوته وتذهب مجهودات المرأة سدى ثم تمر الأيام فيخبرها شمشون بأنه إذا أوثق بأوتار طرية لم تجف فأنه لايقدر على الهروب وأن الحبال الجديدة تضعفه وأنه لو ضفرت سبع خصلات من شعره مع

التى حصل عليها منهم عن مشروعه الموهوم — انشاء شركة البواخر — وأقام فى الفنادق بهذا الاسم كذلك : وأخيراً ذهب الى بروكسل لاستشارة المسيو غليوم برنای لتقع الحادثة قضاء وقدراً !!

ولماسئل ليون بلزر عن مصدر كل تلك النقود وهو قد عاد من أمريكا لا يملك بضعة دولارات ؟ أجاب أن صاحب مشروع البواخر هو شخص يدعى المستر موری فسئل أين هو المستر موری ؟ فأجاب إنه لا يعرف محل إقامته ولا عنوانه وأنه كان يقابله حيناً فى مقهى وتارة فى فندق ، يوما فى باريس وآخر فى لندن ، وهنا يبدو التلفيق للبوليس ويتأكد ان مصدر تلك النقود هو ارماند بلا شك : وحينئذ يقول الدفاع عن أرماند إن هذا مجرد ظن : فيجيب الاتهام : كلا . ليس هذا مجرد ظن ، فان دفاتر أرماند كانت مضبوطة وكل صغيرة وكبيرة من نفقاته اليومية مقيدة بالتفصيل ، ولكن ... نعم ولكن هذه صعبة !! فأن ٢٥٠٠٠ فرنك كانت مخصومة على النفقات بغير بيان ولا أيضاح ، وكل ما قاله محامى أرماند عن طريقة انفاق هذا المبلغ الباهظ هو أنه يحتمل أن أرماند صرف هذا المبلغ فى علاقات نسائية لا يمكنه البوح بها حرصاً على سمعته وسمعة من كان متصلا بهن ، ولكن المدعى العمومى دحض هذا القول برد مفحم هو أنه ، ان كان أرماند قد صرف هذا المبلغ حقيقة فى علاقات نسائية فأنه غير معقول أنه صرفه دفعة واحدة وفى يوم واحد !! وكذلك يوجد فى دفاتر أرماند بعض مبالغ صغيرة مثل ١٠٠ فرنك مكتوب أمامها (مصاريف سهرة أمس) وهذه المبالغ لو جمعت فى سنة لما بلغت ثلاثة آلاف فرنك !! فكيف يصدق أنه ينفق ثلاثة آلاف فرنك فى سنة بطولها و يأتى فى مرة واحدة ويدفع ٢٥ ألفاً ؟؟ أضف إلى هذا أنه كان فى أزمة مالية ، وهذا المبلغ الذى لم يعرف طريق انفاقه قد اقترضه من مصدر معروف

ثم قال المدعى العمومى :

« إن ٢٥ ألف فرنك ليست كثيرة على كل حال اذا نظرنا الى الدوافع التى أنفقت من أجلها فهى ليست كثيرة للتخلص من رجل كرهه أرماند كرهاً شديدا ، إذ هو فضلا عن كونه عقبة فى سبيل أرماند دون من أحبها بقلبه وروحه وعقله معاً ، فانه كذلك عقبة فى طريق مستقبله المادى حيث كانت مسز برنای — زوجة المحامى الصديق القتيل — غنية وتكفى ثروتها لاقالة آل بلزر من عثرتهم المالية ،

«هكذا كان الحب والمطامع التي صاحبته سبباً في ارتكاب هذه الجريمة الشنيعة من رجال كان من حق العلم ووجاهة العقل عليهم ان يخدموا الانسانية التي انجبتهم ، ولكنهم كانوا حرباً عليها بعلمهم وتقيفهم »

« وإذا لم تكن كل هذه الأدلة كافية يا حضرات القضاة لاثبات سبق الاصرار فاني اقدم لكم دليلا آخر هو شراء ليون بلزر ثمانية مسدسات ليختار من بينها أصلحها لتنفيذ الجريمة »

فلم تجد المحكمة بدا من أن أصدرت قراراً بالاجماع باعدام أرماند بلزر واخيه ليون

« ا . م »

الشفق الباكي
للدكتور أبي شادي
شعر ، ونقد ، وأدب عام
يقع هذا الديوان العصري الحافل في ١٢٢٦ صفحة جامعة لمئات القصائد والمقطوعات المتنوعة . وهو مطبوع بالشكل الفرطبع ومزدان بطائفة من الصور والدراسات القيمة ، ومجلد بالقماش تجليداً انيقاً . ويطلب من المطبعة السلفية بالقاهرة ، ومن جميع المكاتب الشهيرة في مصر والعالم العربي . ومن مكتبة لوزاك في لندن . « ثمن العدد مئتا قرش مصري او خمسة شلنات »

لو

عن كبلنج

لو فقد الناس صوابهم ولم تفقده
بالرغم من أنهم يلقون كل تبعة عليك
لو وثقت بذاتك حين يشك فيها الكل
دون أن تدعى بأنك عن الخطأ منزه
لو انتظرت ولم يتعبك الانتظار
لو كذب الناس عليك ولم تنوح نحوهم
لو كرهوك ولم تعاملهم بالمثل
بشرط أن لاتبد كثير الطيبة كامل العقل
لو كنت تحلم ولا تستعبد نفسك للاحلام
وتفكر دون أن تجعل الافكار مرماك
لو واجهت رغد العيش كما تواجه الضيق
دون أن تهتم بأحدهما أكثر من الآخر
لو أمكنك تحمل عواقب ما تقوله من الحقائق
حين يستعملها الجاهل شبا كاللاغياء
لو قدرت على رؤية ما تشيده ينهار
فتقوم كى تشيده ثانياً من جديد

لو جمعت كل ما تملكه معا
ووضعته عرضة للربح والخسارة
لو خسرت وكنت رابط الجأش
مستعداً للعمل بقلب كى تستعيض الخسارة

لو أجبرت قلبك وأعصابك وعواطفك
لاطاعتك بالرغم من أنهم خانوك
لو بت كما كنت فعدت
كل شئ سوى الارادة شغفاً بالاستمرار

لو احتفظت بفضائلك بين الجماهير
ولم تفقد شخصيتك فى حضرة الملوك
لو اعجزت الأصدقاء والأعداء عن أذاك
وساويت الناس بعضهم دون تفضيل
لو ملأت كل دقيقة لا ترد .
بستين عملا كلهم فى حاجة إلى جهد
تكون سيد العالم مكا لكل مافيه
وفضلا عما سبق تكون رجلا يابني

« اديب »